الموت الظاهر

نشرنا في مقتطف يناير من السنة الماضية مقالة في الحياة والفرق بين الاجسام الحية والاجسام الميتة . وقد قرأنا للدكتور هرس من جامعة برمنغهام كلاماً لا يخرج عن هذا الموضوع فرأينا ان ننقل بعضهُ الى القراء لما فيهِ من اللذة والفائدة قال

يظن الواحد منا لاول وهلة انهُ لا اسهل من التمييز بين الحياة والموت فالتنفس والحركة والحرارة ونبضان القلب والحس من علامات الحياة التي لا يجهلها عامة الناس . ولو سئل احد علماء البيولوجيا ان يذكر الفرق بين الاحياء والاموات لقال ان الاحياء تختلف عن الاموات بثلاثة امور . اولاً المبادلة المستمرة بين المواد المؤلفة منها وبين المواد المحيطة بها مثل امتصاص الاكسجين وافراز الحامض الكربونيك وغيره من الفضلات المؤذية وتناول الطعام وتحويلهِ الى انسجة وهو ما يعرف بالتمثيل . ثانياً تحويل الطعام الى حرارة وقوة محركة . ثالثاً التنبه بالمجاري الكهربائية . فهذه الامور لا تشاهد في الاجسام الميتة فهي من الادلة القاطعة على وجود الحياة لكنهُ لا يسهل اثباتها في بعض الاحوال الا بالادوات الفسيولوجية المتقنة الصنع . ومن المحقق ان كثيرين من الناس دفنوا احياء لان موتهم كان ظاهراً فقط والحوادث التي من هذا القبيل كثيرة

واذا بحثنا في علامات الموت او الحياة وجدنا انهُ ليس من السهل اثباتها فالانحلال مثلاً من علامات الموت لكنهُ لا يحدث في كل الاحياء فبعض الاحياء الدنيا لا تنحل او بالحري لا تموت لانها تحفظ كيانها بانقسامها الى نصفين فيتولد من كل نصف حيوان كامل . وآح البيض اي بياضهُ ليس من الاجسام الحية لكنهُ ينحل . ومثلهُ السكر وغيرهُ من المواد التي يفرزها الجسم مع البول فكلها مواد آلية قد يتطرق اليها الفساد اي الانحلال لكنها لم تكن حية قبل انحلالها . فالاحياء مركبة من اجزاء حية مؤلفة من البروتوبلاسما واجزاء غير حية منها مواد آلية كبعض المفرزات والفضلات ومنها مواد غير آلية كالنترات والنشادر وما اشبه . والبروتوبلاسما لا تنحل ما زال فيها حياة لانها تقاوم الجراثيم التي تسبب الانحلال بافراز المواد المضادة فما فتى فقدت الحياة صارت كغيرها من المواد الآلية وانحلت

ويُرى الموت الظاهر في كثير من الاحياء الدنيا فبعضها يبقى جافاً سنوات كثيرة ثم يعود الى الحركة والحياة اذا بُلَّ بالماء . ومن المحقق ان الحياة تبقى كامنة في القمح لا اقل من مئتي سنة . وما قيل عن تفريخ القمح الذي وجد في المومياات المصرية لا نصيب لهُ من الصحة

والجراثيم وهي ادنى النباتات تحتمل درجة شديدة من البرودة ولا تموت بل تبقى الحياة كامنة فيها فقد خفضت الحرارة في بعضها الى ان بلغت مئتي درجة تحت الصفر من مقياس سنتغراد حتى جمدت هذه الاحياء وصار يمكن سحقها كالاجسام الصلبة ثم عادت وعاشت بعد ان ردّت حرارتها اليها. وروى فرنكلين لما ذهب الى نواحي القطب الشمالي سنة ١٨٢٠ انهُ رأى سمكاً متجمّداً في الجليد فلما اذيب الجليد عنهُ خرج سيّاً يعوم في الماء. وقد اثبت بعضهم ان الضفادع يمكن تجميدها الى ان تصل حرارتها في باطنها الى الدرجة ٣٥° من مقياس سنتغراد ولا تموت. وروى السر ارنست شكلتن ان في بحار القطب الجنوبي حيوانات تبقى متجمدة عشرة اشهر في السنة ولا تعوم في الماء الاّ شهرين فقط. والحيوانات الراقية كالانسان وغيره لا تحتمل البرد الشديد لكن حوادث الموت الظاهر لاسباب غير هذه مروية في الانسان من احادثة الكلوال تونسند المشهورة وقد وصفها الدكتور تشاين وصفاً مدققاً قال: كان في امكانه ان يموت موتاً ظاهراً ثم يعود الى الحياة متى شاء. استلقى مرة على ظهره وبقي ساكناً مدة من الزمن ثم لحظ نبضهُ يضعف رويداً رويداً الى ان اختفى تماماً ولم اعد اشعر بهِ مطلقاً والدكتور بيتارد الذي كان معي لم يمكنهُ ان يشعر باقل حركة في قلبهِ. ووضع المستر سكرين مرآة امام فمهِ فلم يظهر عليها ادنى كدر ولم نقدر ان نجد فيهِ اثراً ما من آثار الحياة. فظننا انهُ تجاوز الحدّ هذه المرة. وايقنا اخيراً انهُ مات فعلاً وهممنا بالانصراف ثم بعد ذلك بقليل اخذ يتحرك وعاد اليهِ نبضهُ وبدأ يتنفس ويتكلم

واغرب من ذلك ما يروى عن دراويش الهند قيل انهم يُدفنون وتوضع الاختام على قبورهم ويبقون فيها عدة اسابيع بلا اكل ولا شرب ثم يخرجون وهم على قيد الحياة. والامثلة التي من هذا القبيل اكثر من ان تحصى وقد اثبتها جماعة من الثقات المؤتمن عليهم رأوها بانفسهم ورووها فلا يمكن انكارها. من ذلك ما رواهُ جيمس برايد قال انهُ جيء بلحد هؤلاء الدراويش وسدّ نفراءُ واذناهُ بالشمع ووضع في كيس وختم الكيس ثم وضع الكيس في صندوق واقفل الصندوق ووضع في غرفة ختمت ابوابها. وترك الرجل على هذه الحالة ستة اسابيع ولما اخرج وجدت عضلاتهُ يابسة وجسمهُ منقبضاً ولا اثر لنبضهِ وحركات قلبهِ ثم اخذ يعود الى الحياة شيئاً فشيئاً وظهر نبضهُ وتكلم وقال للذين حولهُ «هل صدقتم كلامي الآن»

ويستنتج من هذه الامور انهُ متى كانت الحياة كامنة لا يتناول الجسم غذاءً او ماءً او اكسجيناً ولا يفرز الحامض الكربونيك وغيرهُ من الفضلات ويكون عمل الرئتين والقلب ضعيفاً جدّاً لا يشعر بهِ. انتهى باختصار